

أيام الغرب الحلوة

العدد ٤٠١٢/٤
غسان سلامة*

يا أيام الغرب الحلوة، النشاط الاقتصادي في طور من التنمية والانتعاش، وأسعار النفط ومختلف المواد الأولية على الأرض، والحروب في فلسطين وأفغانستان، وفي كمبوديا وعلى شط العرب، تنهك الآخرين وتريح الغرب! يا أيام الغرب الحلوة وجماهير الجزائر ومانيلا، والقاهرة ويونس ايرس تريد التعددية السياسية التي تشبه أنظمة الغرب السياسية؛ يا أيام الغرب الحلوة وفاليسا ينهك موسكو، كما ينهكها سكان استونيا وأذربيجان، ناهيك عن ارمن ناغور في قره باخ؛ يا أيام الغرب الحلوة وقد بدأت الرأسمالية تتجذر في شوارع شانغهاي وبكين وكانغتون!

أيام الغرب حلوة حقاً لأن الآخرين ضعفاء، مقسمون، انهكتهم الحروب، وافقرتهم السياسات الاقتصادية التعيسة، ناهيك عن سنوات القمع والقهر والديكتاتورية. الآخرون أي العرب واليرانيين، والسوفييات والصينيين، ناهيك عن نيجيريا أو المكسيك.

ماذا يفعل الغرب بهذا الموقع الفوقى: هل يستفيد منه ليزيد الضغوط، وليطلب المزيد من التنازلات، وليكرس المزيد من التأثير والاستبجاع؟ هذا هو ميل الريغانية الأميركية وما تبقى منها، ولكن الكثيرين من قادة الغرب يعتقدون ان الشد المستمر والمصر على الحبل قد يؤدي الى قطعه وان هناك حدوداً حمراً لن يتمكن بعدها لا عرفات ولا الأسد، ولا الخميني ولا الشاذلي، ولا دينغ ولا غورباتشوف ان يقدموا على أي تنازل من دون تعريض مواقعهم للخطر. وبالتالي يرى هؤلاء ان الدفع الى الهاوية قد يقضي على المدفوع وقد يجر المدفوع دافعه الى الهاوية أيضاً. لذا هم يبحثون عن صفقة وسطية، في المجالات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

ولكن صوت هؤلاء القادة الأوروبيين كان خافتاً ومقموماً أيام ريغان «الجميلة». هل يبقى بوش، الرئيس الجديد للمعسكر الغربي، على هذا الانتشاء بالظفر وبالموقع العلوي او انه، على العكس، سيستمع الى آراء المعتدلين من زملائه الأوروبيين الداعين لوقف سياسات شد الحبل والتشديد؟ هل يعطي بوش التاشيرة التي رفضها شولتز؟ هل يذهب الى المؤتمر الذي رفضته ناتشر في موسكو؟ هل يذهب بعيداً في مجال تطبيع العلاقات مع مختلف دول منطقتنا؟ هل ننتظر ٢١ الشهر المقبل يوم تسلم مهامه ام نبدا، في الوقت نفسه، بالتحسب للأسوأ؟

* استاذ العلوم السياسية في جامعة باريس الأولى.

تصدير الثورة. فإن تحولت طهران الى الانفتاح على الغرب، فواشنطن ما زالت غير مستعدة تماماً للانفتاح على إيران بسبب الرهائن، وذكرى احتجاج الديبلوماسيين في السفارة الأميركية، وذكريات مرة مع مؤيدي إيران على الساحة اللبنانية. إيران تبدو مستعدة، ولكن الغرب يطلب ما سبق، وربما أكثر، ان قامت طهران بتلبية ما سبق.

منظمة الأوبك تحاول وقف الهبوط المريع في أسعار النفط. والنفط هو السلعة الأساسية، بل شبه الوحيدة التي تصدرها معظم دول منظمة أوبك. ولكن واشنطن لا تنظر بعين الرضى الى أي بداية اتفاق داخل أوبك. لذا بعد اعلان فيينا الأخير، راح الخبراء يطالبون واشنطن بشراء كميات كبيرة وتخزينها واستعمالها لاحقاً لمنع الأسعار من الارتفاع، ويطالبونها أيضاً بوضع ضريبة على النفط للتقليل من استهلاكه، ويطالبون بتطوير انتاج الاسكا للبقاء في موقع قوي داخل السوق. المطلوب من جماعة أوبك البقاء مختلفين.

غورباتشوف يريد تنظيم مؤتمر عالمي كبير حول حقوق الانسان في موسكو عام ١٩٩١. ومع اهتمام الغرب وترحيبه بما حصل ويحصل حالياً من تغييرات في البنية السوفياتية، فهذا ما زال غير كاف. لذلك استطاعت السيدة ناتشر اقناع المسيو ميتران بضرورة رفض العرض السوفياتي، لأن ما تم في موسكو من اصلاحات غير كاف من وجهة نظر الغرب لإعطاء غورباتشوف فرصة تنظيم ذاك المؤتمر. فالمطلوب أكثر وأكثر في المجالات السياسية والاقتصادية، ناهيك عن حقوق الأقليات وهجرة اليهود.

منظمة التحرير ومنظمة الأوبك، بغداد ودمشق، طهران وموسكو، يسعين للتقرب من الغرب. ولكن الغرب غير راض بما يقدم له من تنازلات، ويراه غير كافية، وهي تنازلات لو قدمتها الأطراف المذكورة منذ سنوات لكان الغرب اعتبرها ثورية فعلاً. ولكن الغرب اليوم في وضع البنت ذات الدلع التي كثر خطابها وتدافعوا على باب أبيها، فراحت تلعب بالواحد ضد الآخر، وتطلب من كل منهم مزيداً من الهدايا والعطاءات والتنازلات حول مساحة البيت الزوجي المرتقب، ونوع الموبيليا. بل ان البنت تريد من هؤلاء ان يغيروا لون شعرهم، او ان يخففوا من وزنهم او ان يضعوا والداتهم المسنة خارج البيت لتقبل بالتفكير، مجرد التفكير، بولوج باب احدهم.

ياسر عرفات يطلب تاشيرة دخول الى الولايات المتحدة بهدف التحدث امام الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث المنظمة عضو مراقب منذ عام ١٩٧٥. واشنطن ترفض إعطاء التاشيرة. لماذا؟ لأن مقررات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر غير واضحة، وبالتالي فهي غير كافية لإقناع المستر شولتز بان عرفات تطور في الاتجاه المطلوب. ماذا يريد الأميركيون أكثر مما أخذوا؟ انهم يطلبون الكثير: الغاء قرار الجمعية العامة رقم ٢٣٧٩ الذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية، ويريدون قبولاً للقرار ٢٤٢ غير مشروط بحق تقرير المصير، ويلحون على إخراج أبو العباس من اللجنة التنفيذية للمنظمة. وهذا أقل ما يريدون، وإن هم حصلوا عليه، فمن يدري ماذا سيطالبون آنذاك منه ومن المنظمة. يبدو انهم لن يقبلوه في نيويورك إلا وقد تخلّى عن الكثير، حتى لا يتمكن بعد التنازلات والتضحيات، من ان يعود من نيويورك الى قواعده سالماً فيتخلّى عن سلاح الحرب، ويتخلّى بعدها عن سلاح السلم المعلن في الجزائر.

سورية تريد، على ما يبدو، التقرب من الولايات المتحدة، وفي الذهن أوضاع اقتصادها الصعب، والحال المستعصية عليها وعلى غيرها في لبنان، ناهيك عن التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل المطلوب من دمشق والمنوع عليها. ولكن واشنطن حذرة، متلذذة في «حوارها» المفتوح منذ سنة مع سورية. فالأميركيون يريدون منها أكثر مما أعطت، إن في ما يخص الرهائن وحزب الله وأبو نضال، او في ما يخص لبنان، او حتى في مجال دور سورية الاقليمي. وبعض الأميركيين يشترط تغييرات جذرية في البنية الاقتصادية السورية قبل بدء البحث بالمساعدات والمعونات.

العراق يريد هو الآخر عدم الاختلاف مع الغرب، بعد نشاطه الدبلوماسي الواسع إزاءه. هو أيضاً يريد الحفاظ على نوع من عدم الانحياز، ويريد إعادة بناء البلاد بدعم تكنولوجي غربي. ولكن الغرب يريد ان يثبت العراق انه تحول الى ديمقراطية من الطراز الغربي. ويريد ان يتخلّى عن الأسلحة الكيماوية وعن قمع الحركة الكردية. ويريد أيضاً الأيطمخ للعب دور كبير على الساحة الإقليمية. هذا وأكثر، فقد تطلب من العراق تنازلات أخرى إن هو قدم ما سبق.

إيران، وفقاً لما يصدر عن جل قادتها، تريد تطبيع علاقاتها بالغرب. ولكن النيويورك تايمس، ومن ورائها الحكومة الأميركية، لها طلبات عدة: وقف إضطهاد البهائيين، وعدم ضرب اليساريين، ووقف